اللهجة العامية في تفسير عبد الله الطيّب المجذوب

عصام التجانى محمد إبراهيم* ورحمة بنت أحمد عثمان**

ملخص البحث

يعد الدكتور عبد الله الطيب المجذوب من أشهر علماء السودان في العصر الحاضر. وقد قام حفظه الله بتاليف العديد من الكتب في مختلف المجالات، من أبرزها تفسيره للقرآن الكريم. ويهدف هذا البحث إلى دراسة منهج وطريقة الدكتور عبد الله الطيب المجذوب في تفسير القرآن، مع بيان استخدامه اللهجة العامية (الدارجة) في تفسيره. وكذلك يتناول البحث طريقة عبد الله الطيب في تفسيره للآيات الكونية، وآيات الأحكام، وآيات الأسماء والصفات، وآيات الموت والآخرة والغيبيات، وآيات القصص والإسرائيليات. وقد اعتمد البحث على منهجي الاستقراء والتحليل الاستنباطي للوصول إلى النتائج المرجوة. ومن نتائج البحث أن عبد الله الطيب اعتمد على اللغة العربية بجميع علومها في تفسير القرآن، واعتنى بالقراءات القرآنية. وأظهر البحث كذلك أن المنهج العام لتفسير عبد الله الطيب يعتمد في المقام الأول على المأثور من الكتاب والسنة وآراء الصحابة، ناقلاً تلك الروايات من تفسيري الطبري والقرطبي. كما أوضحت الدراسة أنه اعتمد على الإسرائيليات، ورفض التفسير العلمي.

الكلمات المفتاحية: اللهجة، التفسير، المنهج، القراءات، التفسير العلمي.

---

[*] طالب في الدكتوراه، قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

[**] الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

Abstract

Dr.ʿAbd Allāh al-Ṭayyib al-Majzūb is considered one of the eminent figures in contemporary Sudan. He authored numerous books, among the most prominent of them his exegesis of the Qur'an. This research aims to study the methodology and way ʿAbd Allāh al-Ṭayyib followed in his exegesis of the Qur'an, and to discuss the most important drawbacks held against ʿAbd Allāh al-Ṭayyib, which is the colloquial dialect that he used in his *tafsīr*. Furthermore, this research also looks at the way of ʿAbd Allāh al-Ṭayyib in his interpretation of the verses pertaining to natural and cosmological phenomena, the verses of jurisprudence, the verses of the names and qualities of Allah (swt), the verses of the Qur'anic narratives and *Israelite,* as well as the verses concerning eschatological matters. This research relied on analytic and inductive methodologies to reach the desired results. One of these results was that the overall methodology of his *tafsīr* depended primarily on dictum from the *Qur'an* and *Sunnah*, citied them from the interpretations of Ṭabarī and Qurtubī. Furthermore, the study revealed that ʿAbd Allāh al-Ṭayyib utilized the stories of the people of Israel (Israelite) in his *tafsīr*, and he rejected the scientific *tafsīr*.

Key words: Dialect, exegesis of the Quran, Method, Readings, Scientific exegesis of the Quran.

Abstrak

Dr.ʿAbd Allāh al-Ṭayyib al-Majzūb dianggap sebagai salah satu daripada tokoh-tokoh yang terkenal di kontemporari Sudan. Beliau mengarang beberapa buah buku, diantaranya yang paling terkemuka adalah tafsiran al-Quran beliau. Penyelidikan ini bertujuan untuk mengkaji kaedah dan cara yang diikuti ʿAbd Allāh al-Ṭayyib dalam tafsiran al-Quran, dan untuk membincangkan kelemahan terpenting yang menentang ʿAbd Allāh al-Ṭayyib, yaitu dialek sehari-hari yang beliau menggunakan dalam tafsiran-nya. Selain itu, penyelidikan ini jugak melihat cara-cara ʿAbd Allāh al-Ṭayyib menafsirkan ayat-ayat yang berkaitan dengan fenomena semula jadi dan kosmologi, ayat-ayat fiqh, ayat-ayat nama dan sifat-sifat Allah (swt), ayat-ayat riwayat al-

Quran dan *Israelite,* serta ayat-ayat yang berkenaan dengan eskatologi (kematian dan hidup selepas mati). Penyelidikan ini bergantung kepada metodologi analisis dan induktif untuk mencapai keputusan yang dikehendaki. Salah satu daripada keputusan-nya adalah bahawa metodologi keseluruhan *tafsīr* beliau bergantung terutamanya daripada ucapan dari al-Quran dan As-Sunnah yang dipetik dari tafsiran Ṭabarī dan Qurtubī. Selain itu, kajian mendedahkan bahawa ʻAbd Allāh al-Ṭayyib menggunakan cerita-cerita orang-orang Israel (Israelite) dalam tafsiran beliau dan beliau menolak tafsiran saintifik.

Kata Kunci: Loghat, Ulasan al-Quran, Metodologi, Bacaan, Penafsiran saintifik al-Quran.

المقدمة:

إن نهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون قائمة بحق إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للبشر، حيث وصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه "فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم "[1].

وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن، خصوصاً في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان

---

[1] أخرجه محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، (بيروت: دار العرب الإسلامي، ط2، 1998م)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ج5، ص29، رقم الحديث 2906.

العربي، وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم. فالتفسير[1] هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد، النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس وإعزاز العالم، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن وتوفروا على قراءته بجميع وجوهه التي نزل عليها.

ومن المتفق عليه، أن المسلمين اعتنوا بالقرآن عناية كاملة، وأقبلوا عليه قارئين وحافظين ومتدبرين، وأقبل العلماء عليه يفسرونه ويحللون آياته، ويستنبطون منها أحكامه، ويستخرجون منها حقائقه. وقد تعددت طرق ومناهج التفسير ومدارسه واتجاهاته على مدار التاريخ الإسلامي، منذ عهد الصحابة الكرام وحتى العصر الحاضر، حيث كتبت العديد من التفاسير، واختلفت مناهج المفسرين في فهم القرآن وتفسيره، وقد تطورت هذه المناهج حسب حاجة كل عصر. ومن الذين ساهموا في هذا التطور المفسِّر والأديب والناقد والشاعر الشيخ الدكتور عبد الله الطيّب المجذوب رحمه الله، حيث أنه فسّر القرآن الكريم كاملاً في اثني عشر عاماً ما بين مطبوع ومسموع.

الدكتور عبد الله الطيّب المجذوب ولد في السودان عام 1921م، وتوفي عام 2004م، ونال الدكتوراة في الفلسفة من جامعة لندن سنة 1950م، وعين أستاذاً مدى الحياة (بروفسور اميرتس) بجامعة الخرطوم سنة 1979م، وأسس جامعة بايرو

---

[1] عرّف الإمام الزركشي التفسير بأنه: علم يعرف به فهم كتاب الله، المنزّل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. انظر: بدرالدين محمد عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1986م)، ج1، ص13.

بنيجريا، وله عدة دواوين شعر مطبوعة، وفسر القرآن كله بين عام 1958 وعام 1969م، وقال عنه الأديب المصري طه حسين في تقديمه لكتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب: "أنا سعيد حين أقدم إلى قراء العربية هذا الأديب البارع، لمكانه من التجديد الخصب في الدراسات الأدبية. وأنا سعيد بتقديم كتابه هذا إلى القراء، لأني أقدم إليهم طرفة أدبية نادرة حقاً، لن ينقضي الإعجاب بها، والرضى عنها، لمجرد الفراغ من قراءتها، ولكنها ستترك في نفوس الذين سيقرؤونها آثاراً باقية، وستدفع كثيراً منهم إلى الدرس والاستقصاء، والمراجعة والمخاصمة، وخير الآثار الأدبية عندي، وعند كثير من الناس، ما أثار القلق، وأغرى بالاستزادة من العلم، ودفع إلى المناقشة وحسن الاختبار. أما بعد فإني أهنئ نفسي وأهنئ قرّاء العربية بهذا الكتاب الرائع، وأهنئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذّ، الذي ننتظر منه الكثير"[1].

وما يميز هذا التفسير هو أن صاحبه لم يكتف بحل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما يحويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية وإشارات فنية، بل تجاوز هذه الحدود وجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله. وكذلك يتبع تفسير كل آية بتلخيص آخر باللغة الدارجة (العامية المتداولة في السودان وبعض دول شرق إفريقيا)، مما جعله كثير الفائدة والشهرة في تلك المناطق. وذكر الدكتور في مقدمة تفسيره أن السبب الذي دعاه لإثبات التلخيص بالدارجة، أنه رأى الكثيرين يتلعثمون في قرآءة القرآن وحتى في قصار المفصّل، ومن بين هؤلاء وللأسف الشديد طلبة الجامعات.

---

[1] عبد الله الطيب المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي وأولاده، د.ط، د.ت)، ج1، ص 5 - 6.

وإليك نموذجاً من هذا التلخيص بالدارجة من سورة النبأ[1]: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾. يلخّص الدكتور عبد الله الطيب تفسير هذه الآيات بالدارجة بعد أن فرغ من بيان المفردات والمعنى الإجمالي فيقول: "المشركين ديل بيتناشدوا من شنو؟ دا سؤال قاله ربنا عز وجل للنبي عليه الصلاة والسلام وفيه توبيخ للمشركين. وبعدين أجاب ربنا السؤال وقال المشركين ديل بيتناشدوا من "النبأ العظيم" يعني الخبر الكبير خبر القيامة وخبر النبوة وخبر القرآن البيتكلم بالصواب.وهم كلّهم مختلفين في أمر النبأ العظيم دا. بعض منهم يقولوا جايز يكون. وبعض منهم يقولوا مستحيل. وبعدين قطعاً وقولاً واحداً كلهم بيعرفوا الحقيقة ثم قطعاً وقولاً واحداً بيعرفوا الحقيقة. والتكرار دا ربنا جابه تهديد للمشركين. وكلمة "كلا" معناه قولا واحدا وأكيدا وقطعا ومن دون شك. والمفسرين عندهم اختلاف بسيط أحسن نعرفه. بعضهم قالوا المختلفين ديل المشركين والمؤمنين فيشان المؤمنين صدقوا بالرسالة والمشركين كذبوا بالرسالة. وبعضهم قالوا المختلفين ديل المشركين نفسهم كل جماعة منهم عندهم راي وهم أل كانوا بيتناشدوا. والتفسير الأولاني جايز. والتاني مماش لظاهر الآية. وسيدنا الطبري مال ليه." [2]

ومن الملاحظ أن الدكتور عبد الله الطيب يبدأ بتفسير بعض الكلمات والعبارات المفردات، وينبه على بعض ما جاء فيها من وجوه التأويل. ثم بعد ذلك يتناول جملة ما قدمه بتلخيص يبين فيه المعنى الإجمالي للآيات ويورد أقوال المفسرين

---

[1] سورة النبأ: 1 – 5.

[2] عبد الله الطيب المجذوب، **تفسير جزء عم** (الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ط2، 1404هـ)، ص 11 - 12.

مع الترجيح بينها. ويختتم تفسيره بتلخيص آخر باللغة الدارجة (العامية). ومن خلال اطلاعي على هذا التفسير، فإن الشيخ يورد في المسألة الواحدة أقوال السلف، ويقتبس من الطبري والزمخشري والجلالين وغيرهم من المفسرين، ويجمع بين تلك الأقوال اذا كان السياق يحتمل، ويرجح بين تلك الأقول بكل تواضع وشجاعة، أعانه على ذلك قوة شخصيته وسعة اطلاعه، وإلمامه التام باللغة العربية والشعر الجاهلي، مما جعل هذا التفسير كنزاً قيماً مشوقاً للغوص في أعماقه لمعرفة ما فيه من خير وفائدة، وجدة وإضافة، والتعريف بصاحبه الدكتور عبد الله الطيب وهدفه من التفسير، ومنهجه فيه، ومعرفة ما عليه من مآخذ.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه دراسة في المناهج التفسيرية المعاصرة ذات الشأن، والتي تبرز للمسلمين جهود العلماء الذين أسهموا في مجال التفسير. حيث مازالت المناهج تتطور وفق حاجة الناس في كل عصر ووفق البيئة التي ينشأ فيها المفسر. وعليه فإن دراستي لمنهج الدكتور عبد الله الطيب في تفسيره للقرآن الكريم تسهم في كشف النقاب عن أنماط واتجاهات التفسير في العصر الحديث مما يساهم بدوره في إغناء المكتبة القرآنية إن صحّ التعبير. إضافة إلى ذلك فإني أحببت أن أقدّم هذا العالم وأُبرز تفسيره للمسلمين خدمة لله ولدينه.

فعلى الرغم من فصاحة الدكتور عبد الله الطيّب رحمه الله، وكونه ممن لهم قدرة كبيرة في استخلاص الدروس والعبر من السيرة النبوية بطريقة مشوقة تجبرك على الاستمتاع بها والاستماع إليها، إلا أنه استخدم العامية "الدارجة السودانية" في تفسيره، وهذا في تصور البعض له بعد سلبي كبير. ورغم استفادة أهلي في السودان وبعض الدول العربية والإفريقية من علمه إلا أنه بقي مغموراً وسط طلبة العلم في مجال التفسير وعلوم القرآن في العالم الإسلامي ولم يعط حقه. وعليه فقد قررت

دراسة شخصية الدكتور عبد الله الطيب المجذوب وبيان منهجه في تفسير القرآن. وكذلك تناولت طريقته في تفسيره للآيات الكونية، وآيات الأحكام، وآيات الأسماء والصفات، وآيات الموت والآخرة والغيبيات، وآيات القصص والإسرائيليات، وتطرقت لأهم المآخذ على عبد الله الطيب كاستخدامه اللهجة العامية (الدارجة) في تفسيره، معتمدا على منهجي الاستقراء والتحليل الاستنباطي للوصول إلى النتائج المرجوة.

التعريف بتفسير عبد الله الطيّب للقرآن

اشتهر عبد الله الطيب كونه أديباً أكثر منه مفسراً، لكن اهتمامه وعنايته باللغة العربية والشعر لم يقلّل من شأنه في التفسير، بل زاده رفعة ومكانة، لأن إتقان اللغة العربية يمنح التفسير قيمة كبيرة، حيث أن تفسير القرآن باللغة، يعتبر من المصادر الأساسية لأحسن طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن والسنة الشريفة وأقوال الصحابة.[1]

وقد فسر عبد الله الطيب القرآن الكريم كاملاً في اثني عشر عاماً هجرياً ما بين مسموع ومطبوع. فقد طُبع تفسير جزء عم طبعتين، الطبعة الأولى سنة 1390 هـ، والثانية سنة 1404 هـ، والطبعتين بواسطة الدار السودانية للكتب في الخرطوم. وطُبع تفسير جزء تبارك طبعة واحدة سنة 1410 هـ بواسطة دار أشرف للنشر الخرطوم. وقد قام الإخوة في الإذاعة السودانية بتحويل جزء كبير من التفسير المسموع وكتابته في موقع الإذاعة السودانية على شبكة الإنترنت.[2] وقد بدأ عبد الله

---

[1] صلاح عبدالفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، 67.

[2] http://www.sudanradio.info/arabic/modules/smartsection/category.php?categoryid=9

الطيب بتفسير جزء عم كتابةً سنة 1958م، ثم توقّف بعد ذلك عن الكتابة واتّجه إلى تفسير القرآن املاءً (شفاهةً)، وبثه من خلال الإذاعة السودانية، حتى أكمله سنة 1969م، وقد علّق عبد الله الطيب على ذلك في مقدمة جزء عمّ قائلاً: "وقد بدأت هذا العمل منذ اثني عشر عاماً، ثم إنني بعد أن فرغت من جزء عمّ وأعددت مادة جزء تبارك، بدى لي أن أروز[1] ما أتممته عن طريق الإذاعة، وقد أعان الله عزّ وجل في ذلك فكان هذا مما صح العزم على العودة لما كنت قد أعددت من قبل، ومراجعته مراراً حتى استقام منه هذا الذي أقدمه للقارىء الكريم" [2]. ثم توقف عن الكتابة قرابة الثلاثين عاماً قبل أن يعود بجزء تبارك سنة 1989م، وعلل عبد الله الطيب هذه الوقفة الطويلة، قائلاً: "فقد كنت كتبت تفسير جزء عمّ منذ نحو ثلاثين سنة (1375هـــ) وكان النية أن أتبع ذلك تفسير بقية الأجزاء. ثم استحسن بعض أهل الفضل أن يذاع التفسير، فسألت الله عزّ وجل تيسير ذلك فيسَّره بعونه وتوفيقه، حتى فرغت من تفسير المصحف كله من الإذاعة في اثني عشرة سنة هجرية ثم رغبت في طبع جزء عمَّ الذي كتبته وعدتني عوادٍ من ضروب العمل المدرسي فلم ألحقه بأجزاء أخرى وقلت عسى أن يجزىء ويغني عن ذلك ما تمت إذاعته" [3].

مصادر عبد الله الطيب في تفسيره

لا شك أن عالماً مثل الدكتور عبد الله الطيب لا بد له من أن يعيش معظم وقته بين نفائس التراث العربي الإسلامي، ومصادره على اختلاف مشاربها وتباين

---

[1] أَرَزَ يَأْرِزُ أُرُوزاً تَقَبَّضَ وتَجَمَّعَ وثَبَتَ فهو آرِزٌ وأَرُوزٌ ورجل أَرُوزٌ ثابت مجتمع الجوهري أَرَزَ فلان يَأْرِزُ أَرْزاً وأُرُوزاً إِذا تَضامَّ وتَقَبَّضَ من بُخْلِه فهو أَرُوز. انظر: محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت)، ج5، ص305.

[2] عبد الله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص 8.

[3] عبد الله الطيب، **تفسير جزء تبارك** (الخرطوم: دار أشرف للنشر، ط1، 1410هـــ)، ص 5.

موضوعاتها، ولقد كان عبد الله الطيب متنوع الثقافة بما أتيح له من انفتاح متعدد الأبعاد على كنوز التراث، فتشرّبت بها نفسه وفكره، وكان حصاد ذلك هذه الكثرة من المصنفات والمؤلفات التي جادت بها قريحة الدكتور عبد الله الطيب، وكان من أجلّها هذا التفسيره للقرآن الكريم الذي نتحدث عنه.

ومن خلال دراسة هذا التفسير وتتبع محتواه العلمي من الآيات، وجدت أن عبد الله الطيب غالباً مايذكر مصادره أو مراجعه التي يأخذ منها المعلومة، وكان ينهج في الإشارة إلى مصادره ومراجعه التي استقى منها المعلومة بذكر اسم الكتاب بدون ذكر اسم المؤلف أحياناً، أو بذكر اسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب أحياناً أخرى، أو ذكر اسم المؤلف والكتاب معاً غالباً.

ولقد أشار عبد الله الطيب في مقدمة تفسيره إلى أهم كتب التفسير التي رجع إليها واستعان بها وهو يرى أنها أهم كتب التفسير المعوّل عليها من وجهة نظره في هذا المجال، وذلك في قوله: "هذا وكتب التفسير كثيرة، ومنهن أمهات لا يستغنى عنهن عصر مثل جامع البيان للطبري وكتاب التفسير للبخاري[1] من الجامع

---

[1] هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجُعْفِيّ. ولد سنة 194هـ بخرتنك قرية قرب بخارى، وتوفى فيها سنة 256هـ. و البخاري توجه إلى طلب العلم منذ نعومة أظفار، وبدت عليه علائم الذكاء والبراعة منذ حداثته، فقد حفظ القرآن وهو صبي ثم استوفى حفظ حديث شيوخه البخاريين ونظر في الرأي وقرأ كتب ابن المبارك حين استكمل ست عشرة سنة ورحل في طلب الحديث إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر وغيرها، وسمع من العلماء والمحدثين وأكب عليه الناس وتزاحموا عليه ولم تنبت لحيته بعد. وقد كان غزير العلم واسع الاطلاع خرج جامعه الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث كان يحفظها، ولشدّة تحريه لم يكن يضع فيه حديثًا إلا بعد أن يصلي ركعتين ويستخير الله. قال شيخه محمد بن بشار الحافظ: "حُفّاظ الدنيا أربعة : أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى" ، وقال أيضاً : "ما قدم علينا مثل البخاري" ،

الصحيح[1] وهذا تمثيل لا يراد به الحصر ..."[2]. والناظر في تفسيره يرى أنه، بالإضافة إلى المصدرين السابقين، اعتمد كثيراً على تفسير القرطبي حيث أخذ منه الأحكام الفقهية، وتفسير الكشاف للزمخشري[3]، وتفسير الجلالين.

اللهجة العامية (الدارجة) في تفسير عبد الله الطيب

انتهج عبد الله الطيب في تفسيره للقرآن منهجاً مثيراً للجدل، حيث أنه فسر القرآن الكريم كاملاً باللهجة العامية السودانية، بل وكتب هذه اللهجة في كتب مطبوعة. وقد برر عبد الله الطيب هذا المسلك بأنه أراد التيسير على الناس، وأراد أن يرتفع بمستوى العامية حتى تبلغ مستوى الفصيحة، وهذا القول فيه نظر، وهو بالنسبة

وقال الإمام الترمذي : "لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل". انظر: الذَهَبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص 383.

[1] أول مصنف في الحديث الصحيح المجرد، وجاء مبوبًا على الموضوعات الفقهية. وجملة أحاديث كتابه: سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا بالمكرر، ومن غير المكرر أربعة آلاف حديث. واسمه: "الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، وهو أصح الكتب بعد كتاب الله. انظر: الذَهَبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص 384.

[2] عبد الله الطيب المجذوب، **تفسير جزء عم**، ص 6.

[3] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله صَاحِبُ (الكَشَّاف). كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى. ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة. وكان معتزلي المذهب. أخذ الأدب عن أبي مُضر محمود بن جرير الضَّبِّي الأصبهاني وأبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعد الشَّقَّاني. سافر إلى مكة وجاور بها زمانًا، فصار يقال له: جار الله، لذلك، وأصبح هذا الاسم علمًا عليه. ألَّف الزمخشري تصانيف عديدة في صنوف المعرفة المختلفة، ففي تفسير القرآن الكريم ألف كتابه الكشاف الذي وصف بأنه لم يصنَّف قبله مثله. وفي تفسير الحديث صنف كتاب الفائق، وله في اللغة كتاب أساس البلاغة، أما في النحو فقد صنف كتبًا كثيرة منها: المفصل، وقد اعتنى بشرحه خلق كثير، والأنموذج، والمفرد، والمؤلَّف، وشرح أبيات كتاب سيبويه، وله في الأمثال: المستقصي في أمثال العرب. كما أن له كتبًا في علم الفرائض، والأصول، والفقه والأمالي في كل فن، وله شعر جميل. انظر: الذَهَبي، **سير أعلام النبلاء**، ج39، ص 145.

لي قول مرجوح لأن العامية والقول بها يبعد الناس عن القرآن الكريم. وقد بيّن عبد الله الطيب الطريقة التي رسم بها العامية في تفسيره فقال: "وقد آثرت في رسم الألفاظ الدارجة أن أقرب ذلك بقدر المستطاع إلى ما يشبهه من الألفاظ الفصيحة، فقولنا في العامية عليه وإليه الهاء فيه مضمومة، واللام حركتها مزدوجة بين الفتحة والكسرة، فربما وضعت عليها كسرة وفتحة معاً، وربما عريتها من ذلك أو من الفتحة واكتفيت بالكسرة. وقولنا في العامية إنه ننطقه بهمزة مكسورة ونون مشددة مضمومة (إِنُّ). وقولنا كتابهم لجمع المذكر الغائب ننطقه بباء مضمومة بعدها نون (كتابُن)، وللمؤنث بباء مكسورة بعدها نون (كتابِن)، ولكن رجح عندي أن أراعي الأصل فأثبت الضمير الذي يدل عليه ويكون ذلك بمكان الاصطلاح هكذا: كتابهم. وبعض ذلك مبيّن في الهامش لإعانة القارىء إن شاء الله".[1]

منهج عبد الله الطيّب وطريقته في تفسيره للقرآن.

الطريقة والمنهج والفرق بينهما[2]

أولاً أريد أن أبين أمراً هاما كان حقه التقديم إلا أن المسائل زاحمته فزحمته مع أنه قد يثور مع أول كلمة يواجهها قارىء هذا الكتاب عندما يقرأ في عنوانه "الطريقة والمنهج" ما المراد بالطريقة وما المراد بالمنهج؟ والحقيقة أن هذا الكلمات اصطلاحات حديثة لا تجدها في كتب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث –كما ذكر فهد الرومي- لا تكاد تجد اتفاقا على معنى واحد لكل

---

[1] عبد الله الطيب المجذوب، **تفسير جزء عم**، ص 7.

[2] صلاح عبدالفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، 17-18. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسر في القرن الرابع عشر الهجري** (الرياض: مكتبة الرشد، ط4، 2002م)، ص18. عدنان زرزور، **الحكم الجشمي ومنهجه في التفسير** (د.م.: مؤسسة الرسالة، د.ط.، د.ت.)، ص 353-355.

منها، ولهذا تجد الكثير منهم يعبر بهذه الكلمة مرة وبالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين منهم يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها ويذكر غيرهم غيره. وإذا كان الأمر كذلك، فإني قد اخترت ما رجحه واتفق عليه ثلاثة من رواد الأبحاث التفسيرية في العصر الحديث: فهد الرومي، وعدنان زرزور، وعبد الفتاح الخالدي.

المنهج هو: الخطّة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثل في القواعد والأسس والمنطلقات، التي تعرّف عليها المفسر، والتي انطلق منها في فهمه للقرآن الكريم، والتي التزم بها في تفسيره له، هذه القواعد والأسس كانت ضوابط له ولتفسيره،حكمته وهو يتعامل مع كتاب الله ويفهمه ويفسّره، فلم يخالفها و لم يخرج عنها.[1]

أما الطريقة فهي: الأسلوب الذي سلكه المفسِّر أثناء تفسيره كتاب الله، والشكل الذي عرض كتاب الله من خلاله. فهي تطبيق المفسِّر للقواعد والأسس التي كانت منهجه في فهم القرآن. وتطبيق تلك القواعد في مختلف ألوان علوم التفسير: كتفسير آيات العقيدة، وآيات الأحكام، وآيات القصص، وغير ذلك.

منهج عبد الله الطيب في تفسيره

القاعدة الأساسية لمنهج عبد الله الطيب في فهم القرآن التي أقام عليها طريقته في تفسيره، ولهج بها بصورة دائبة، حتى ليجد القارئ أثرها في كل صفحة من صفحاته، هي أن بيان القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته وتابعيهم، وهذا معناه أنه لا يجوز لغيرهم أن يفسِّر القرآن برأيه. فجعل التفسير بالرأي قول على الله بلا علم، إلا إذا توفرت فيه شروط ضرورية، وإلا كان قائما على الهوى والمزاجية، ومن ثم كام مرفوضاً مردوداً. فقال في مقدمة تفسيره رحمه الله: "لا يصح

---

[1] صلاح عبدالفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، 17-18.

القول في آيات الله باجتهاد لا يستند على حجة من سنة أو أثر صحيح أو بيان في اللغة ظاهر ميسور قريب"[1].

ذلك المنهج الذي اتبعه عبد الله الطيب رحمه الله في تفسيره، فكان يفسّر القرآن بالقرآن، ويبحث عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في موضوع الآية، وينظر في الأقوال المنقولة عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويرجح أقوال السلف في مواضع الخلاف وذلك أنها يقربها إلى الصحة كونها أملأ بالإيمان، فبيّن حبه للسلف من خلال إيراده لمقولة الإمام اللقاني[2]:

وصحبه خير القرون فاستمع ... فتابعي فتابع لمن تبع[3]

وكان رحمه الله بعدما يقف على المعنى الصحيح للآية، يتدبرها ويستنبط منها بعض اللطائف والإشارات والتوجيهات التي توحي بها. وفي المباحث القادمة نبين طريقته في تفسيره لمختلف ألوان علوم التفسير التي بناها على هذه القاعدة الأساسية لمنهجه في التفسير.

طريقة عبد الله الطيب في تفسيره للقرآن

الطريقة التي سار عليها الدكتور عبد الله الطيب رحمة الله في عرضه للآيات الكونية في القرآن، أو ما يسمى بالتفسير العلمي، يتسم بعدم الإشارة إلى العلوم الكونية المختلفة، الفلكية منها والطبيعية، فهو يفسر الآيات تفسير منقولاً عن السلف، ثم يتبع ذلك بتلخيص للمعنى العام للآيات، وفي الحالات النادرة التي يشير

---

[1] عبد الله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص6.

[2] صاحب جوهرة التوحيد إبراهيم بن إبراهيم اللقاني (تـ 1041 هـ).

[3] عبد الله الطيب، **تفسير جزء عم**، ص6.

فيها إلى العلوم الكونية نجده يذكرها بإيجاز شديد ويتجنب الإسهاب والاطالة في استحضار تلك العلوم، فهو في ذلك سلك مسلك العلماء الرافضين للتفسير العلمي.

طريقة عبد الله الطيب في تفسيره لآيات الأحكام كانت قائمةً على عدم الإطالة والتفصيل في الآراء الفقهية، وكثيراً ما يقتصر على توضيح حكم المسألة في المذهب المالكي مذهب أهل السودان، ويحيل من أراد معرفة أقوال المذاهب الأخرى إلى تفسير القرطبي، والذي هو مصدره الأساسي الذي يأخذ منه أقوال المالكية، لأنه رحمه الله لم يكن فقيهاً و لم يدع ذلك، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

تناول الدكتور عبد الله الطيب تفسير آيات الأسماء والصفات بايجاز، ودون ذكر مفصل لآراء الفرق والمذاهب وأهل الكلام، بل يكتفي بايراد رأي أهل السنة الراجح باختصار، ويتبناه على ما سواه من الآراء. والسبب في عدم ذكره لآراء الفرق الأخرى من المعتزلة وغيرهم فيما يختص بآيات الأسماء والصفات يرجع إلى مراعاته لحال الناس الذين كانوا يستمعون لتفسيره، حيث كان أكثرهم من أهل القرى ومن العوام الذين ليس لهم دراية باختلاف الملل والأهواء والنحل، فذِكْره للأقوال المنحرفة في العقيدة قد لا يُفهم الفهم الصحيح.

أما طريقة عبد الله الطيب في تفسيره لآيات القصص وموقفه من الإسرائيليات، فقد أورد كماً هائلاً من القصص الإسرائيلية، ليشرح به ما أُجمل بيانه من القصص القرآني، وكان ذلك نتيجة لسيره على نهج المفسرين السابقين، وهذا كشف لنا طريقته التي اتخذت من القصص الإسرائيلية ركيزة لشرح وتفصيل أحداث القصص القرآني وإن عارضت ما نصت عليه شريعة الإسلام من عصمة الأنبياء وعدم مقدرة الملائكة على معصية الله عزّ وجل، فلا نكاد نَمر على قصة من قصص القرآن في تفسيره إلا وآثار الإسرائيليات فيها ظاهر مما لا حاصل لها ولا طائل تحتها، ولا

فائدة منها ولا حاجة إليها، ولا دليل عليها، وهذا الأمر من أهم المآخذ على الدكتور عبد الله الطيب رحمه الله في تفسيره، حيث إن مما يؤخذ عليه في هذا المقام ليس فقط ما جمعه من كم هائل من الروايات الإسرائيلية والخرافية، وإنما كذلك موقفه منها في أغلب الأحيان، حيث تساهل في النقل وسكت عن النقد.

طريقة عبد الله الطيب في تفسيره لآيات الموت والآخرة والغيبيات، فإنه يشرح معظم الألفاظ شرحاً لغوياً، ثم يفسر الآيات مستنداً على ما أورده الطبري والقرطبي من روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، ويستشهد أيضاً بالشعر الجاهلي، وخلاصة طريقته في ذلك أنه يفسر الغيبيات بالقرآن والسنة واللغة، بعيداً عن الإسرائيليات والخيالات والأوهام.

اهتم عبد الله الطيب بالقراءات، فكان ينبه إليها ويوضحها ويبين ما يترتب عليها من المعاني والفوائد، وهذه العناية لم تبلغ درجة الإسراف والمبالغة بحصر جميع القراءات للآية الواحدة، ولكنه عني بالدرجة الأولى بالقراءات العشرة المتفق عليها.

الخاتمة

أستطيع أن أقرر في نهاية هذه الدراسة العلمية المنهجية للدكتور عبد الله الطيب وطريقته في التفسير أن عبد الله الطيب اجتمعت لديه معظم أدوات التفسير بحفظ كتاب الله، وإتقان اللغة العربية بجميع علومها من نحو وصرف ومعاني وبيان وبديع، والعلم بالسيرة وحياة الصحابة، والعلم بالقراءات القرآنية، وقراءة الأصول الأساسية في العلوم المختلفة التي لابد منها للمفسر، والإحاطة الحسنة بآفاق كتاب الله الخالد، بالإضافة إلى صحة العقيدة وسلامة الهدف والقصد والباعث، مما جنَّبه الوقوع في أخطاء المفسرين المعروفة من تحريف لمعاني الآيات وتحميلها ما لا تحتمل. وقد بين

هذا البحث أن المنهج العام لتفسير عبد الله الطيب يعتمد في المقام الأول على المأثور من الكتاب والسنة وآراء الصحابة والتابعين، وهو في ذلك لا يسرد كل الروايات، وإنما يروي ما يساند ما رجحه من الأقوال في تفسير الآية، ناقلاً تلك الروايات من تفسير الطبري أو القرطبي. ويعتمد كذلك على بيانه للمعنى اللغوي لمعظم المفردات والجوانب النحوية، فتفسيره معتدل في اللغة والنحو، فهو لا يفصِّل أو يبالغ في تناوله للمسائل النحوية واللغوية بل يتناول تلك الأمور بقدر ما يؤدي الغرض ويبلغ الهدف في بيانه للمعنى وشرحه للآيات، وكذلك لم يتكلم عن وجوه البلاغة في الآيات القرآنية. وبهذا نخلص إلى أن تفسير عبد الله الطيب من التفاسير المأثورة، ويضم إلى جانب ذلك اللغة والنحو والقراءات وأحكام الفقه والعقيدة.

هذا وقد بذلت في هذا البحث ما وسعني من جهدٍ، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من سهوٍ أو زللٍ أو خطأ أو نسيان، فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان. والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.